تطبيق مبدأ "الهارمونيا" عند الفيثاغوريات

بقلم : د/ محمود السيد مراد*

مقدمة:

كان مبدأ "الهارمونيا" Harmonia أو التناغم واحداً من الأصول الرئيسية في الفلسفة الفيثاغورية عامة ؛ فقد استخدمه الفيثاغوريون الرجال في العلوم المختلفة بشكل نظري ، فجعلوا الكون كله لحناً جميلاً متناغماً وعدداً . في حين أكمل الفلاسفة الفيثاغوريات هذا الدور باستخدامه استخداماً عملياً تطبيقياً في تدبير شئون البيت ، وتنشئة الأطفال ، وجعل الحياة الزوجية حياة متناغمة، كما استخدمنه كعامل تفسيري في دراساتهن السيكولوجية والأخلاقية، ففسرن به حالات العقل وأشكال الفضيلة المختلفة .

نحن نعلم أن فيثاغورس أقام مدرسته الدينية الفلسفية في الثلث الأخير من القرن السادس ق.م في مدينة "كروتون" بجنوب إيطاليا ، واستمرت المدرسة قائمة لما يقرب من قرنين من الزمان ، وامتزجت في طورها المتأخر بالأفلاطونية . ثم حدث إحياء للمدرسة بعد ذلك في القرنين الأول والثاني الميلاديين فيما عُرف باسم "الفيثاغورية المحدثة ". وكانت المدرسة منذ نشأتها الأولي تجمع بين النظرية والتطبيق ، وليس كما ظن البعض أنها كانت ترسخ فجوة بين النظرية والتطبيق ، وأنها لم تتحدث عن قواعد عملية للحياة اليومية ،[1] اهتمت بدراسة العلوم النظرية وفي ذات الوقت قدمت لأتباعها الأسلوب الأمثل للحياة الفاضلة من خلال غرس مجموعة من المبادئ والقيم السلوكية التي يجب على أتباعها الالتزام بها لو أرادوا الاستمرار في الجماعة . لذا كان العلم عندها وسيلة فعالة لتهذيب النفس ، وتقديس الأخلاق . ولم يبتعد الفيثاغوريون عن الحياة العملية والسياسية في عصرهم ، بل شاركوا في السياسة مشاركة فعالة ، وكان الزواج وإنجاب الأبناء من الواجبات المقدسة عندهم ، وقد تزوج فيثاغورس نفسه وأنجب أبناءً . ولما كانت المدرسة تستقبل الرجال والنساء من كل الطبقات منذ

---

* أستاذ الفلسفة اليونانية المساعد بآداب سوهاج .

بدايـــتها الأولـــي ، فقد كانت أشبه بالمدينة الفاضلة، أو المجتمع المثالي كما يجـــب أن يكـــون.[٢] وكانت المدرسة إلي جانب قبولها للرجال والنساء معا ، تجعل الملكية مشاعة بين أعضائها، وكانوا جميعا يعيشون على غرار واحد، بل أن ما كان يتوصلون له من اكتشافات علمية كانوا يعتبرونه كشفاً جمعياً، وينسبونه إلي فيثاغورس حتى بعد وفاته .[٣]ولا يسرفون في طعام أو شراب ، ويعـــتدلون حـــتى في الضحك ، وفي الإشارة ، وفى الكلام. وكان يلبسون الثـــياب البسيطة، وكان عليهم أن يحاسبوا أنفسهم كل يوم على ما فعلوه من أعمال . لقد سعى فيثاغورس إلي تعليم تلاميذه روح مجتمع مترابط متناغم، يضـــم أخـــوة صـــغيرة تكون نواة لتأسيس مدينة أكبر للنفوس الباحثة عن الحكمـــة فـــي التـــناغم القائم في أخوة عالمية بين كل أفراد الكون . فكانت المدرسة نظام من الأخوة كأنها ــ كما يقول ول ديورانت ــ دير أو معبد .[٤]

لقد سمح فيثاغورس إذن بتعليم المرأة في مدرسته ، وكانت هذه خطوة جريـــئة غـــير مسبوقة ، جعلت المؤرخين ينظرون إليه على أنه " المناصر الأول لحقـــوق المـــرأة "في العصر القديم .[٥] كما جعلته في ذات الوقت مثاراً للســـخرية اللاذعـــة من الشعراء في عصره ، خاصة في مسرحيات كل من الشـــاعر "كراتينوس" Cratinusوالشاعر "أليكسيس" Alexis.[٦] والواقع أن الأمـــر لم يكن سهلاً على فيثاغورس فى البداية، وهو يعيش فى هذا العصر المحـــافظ ، وذلك المجتمع المنغلق . ولكن شخصيته بقوتها وهيبتها وغزارة علمها ، وقوة إقناعها ، جعلت الناس تقبل على المدرسة بشكل كبير من كل الفـــئات في المجتمع ، لدرجة أن مدرسته والتي كانت تضم ٢٣٥ طالباً كان مـــن بينهم سبع عشرة امرأة أتت من كل بلاد اليونان.[٧] وكان يُطلق عليهن فـــي العصر القديم ــ كما يروي ديوجين لآيرتوس ــ "النساء الفيثاغوريات" .[٨]وبهـــذا يمكنـــنا القول أن فيثاغورس قد كسب معركة هامة فى بداية قيام المدرســـة ، فقـــد استخرج موافقة جماعية من أهل "كروتون" على ضرورة الاعتراف بأن النساء على درجة مساوية للرجال في العقل .[٩]

لم يسبق فيثاغورس أفلاطون إذن في المناداة بمبدأ تكافؤ الفرص بين الجنســـين بمائتي عام فقط ، بل زاد عليه أن طبق هذا المبدأ عمليا . وتشير المصادر إلي أن هؤلاء التلميذات الملتحقات بالمدرسة كن عضوات نشيطات

فيها منذ لحظة قيامها ، ولعبن دوراً بارزاً فى تطور ورقي المدرسة في عصورها المختلفة . غير أن الأمر الذي يستدعي الذكر هنا أنه لا فيثاغورس ولا أي واحدة من تلميذاته هؤلاء أنكر وجود فوارق طبيعية بين الجنسين ، من حيث وظيفة كل جنس منهما ، لذا كان فيثاغورس يراعي ذلك ؛ فكان يطعمهن الشئ الكثير من الفلسفة والآداب ، وفى ذات الوقت كان يختصهن بتعليم فن الأمومة والتدبير المنزلي . من أجل ذلك اشتهرت الفيثاغوريات من بين كل اليونانيات في العصر القديم بأنهن " النموذج الأعلى للأنوثة الذي أخرجته بلاد اليونان فى كل عصورها."[١٠] وتأثرت النساء الأخريات في "كروتون" بهن فكرهت النساء الأخريات تأثرا بهن الثراء والزينة ، وسارعن إلي هجر الذهب ، وارتداء ابسطها ، وبينما أعطى أهل "كروتون" لفيثاغورس سلطة مراجعة القوانين التي يسنها المجلس هناك ، خولوا لزوجته وابنته منصب رئاسة الاحتفالات الدينية للمواطنين من الإناث."[١١]

ومن الممكن تقسيم الفلاسفة الفيثاغوريات حسب العصور التي مرت بها الفلسفة الفيثاغورية وفقا لما قامت به "ماري ايلين ويث" [١٢]:-

١- الفيثاغوريات المبكرات: وهن اللاتي التحقن بالمدرسة منذ بداية نشأتها وحتى العقود الأخيرة من القرن الخامس ق.م وهن أفراد أسرة فيثاغورس نفسه : زوجه "ثيانو الكروتونية" [١٣] Theanoوبناتها : دامو [١٤] Damoوميا [١٥] Myia أريجنوت [١٦] Arignote وتضاف إليهن ثيمستوكليا Themistoclea كاهنة معبد دلفي ومعلمة فيثاغورس المبادئ والقيم الأخلاقية التي نادى بها في مدرسته .[١٧]

٢- الفيثاغوريات المتأخرات أي اللاتي ظهرن فى القرنين الرابع والثالث ق.م وتضم هذه الفئة :- إيزارا اللوكانية [١٨] Aesara of Lucania ، وفينتس الإسبرطية [١٩] Phintys of Sparta وبركتيوني الأولى [٢٠] Perictione 1 .

٣- الفيثاغوريات المجهولات: وهن اللاتي ظهرن في القرن الأول قبل الميلاد واستمر وجودهن حتى القرن الثالث الميلادي ، وهن بركتيوني الثانية [٢١] Perictione 11 وثيانو الثانية [٢٢] Theano 11. وتحاول الدراسة

الحالية رصد الإسهام الفلسفي الكبير الذي قدمته هؤلاء الفيثاغوريات فى تاريخ المدرسة الفيثاغورية خاصة وتاريخ الفكر الفلسفي اليوناني عامة ، وذلك من خلال تتبع الدور الذي أفردته لمبدأ "الهارمونيا" أو التناغم فى تصوراتهن الفلسفية .

لكن دراسة كهذه تعوقها عقبات كثيرة ، على رأسها قلة المواد والنصوص التي وردت لهؤلاء الفيثاغوريات ، فضلاً عن أن السرية والصمت اللتان فرضهما نظام المدرسة على أتباعه تجعلان من الصعب تحديد النظريات التي قالت بها الفيثاغوريات النساء عن تلك التي قالها الرجال ، خاصة وقد عرفنا أنهم كانوا ينسبون النظريات العلمية التي يكتشفونها إلي شخص فيثاغورس حتى بعد وفاته . غير أن مما يخفف من العقبة الأولي أن ندرة النصوص ليست عقبة تخص الفيثاغوريات وحدهن ، بل عقبة عامة تسري على كل الفلاسفة السابقين على سقراط ، فكل ما وصلنا لهؤلاء ليس سوى شذرات قليلة وبسيطة ، ولم يمنعنا هذا من النظر إليهم كفلاسفة . فإذا كانت النصوص الواردة للفيثاغوريات قليلة ومتناثرة فإنها تعبر عن رأي وفكر وموقف ، ومن ثم فهي ضرب من التفلسف ولا يمكن الاحتجاج بأنها عبارات متناثرة قليلة فهكذا كانت الفلسفة في البداية.[٢٣]

لقد حظيت المرأة الفيثاغورية بفرص عظيمة مكنتها من القراءة والكتابة ، وقبل كل شئ من التفكير والمناقشة وإعمال العقل ، ووقفت على قدم المساواة مع الرجل . لذا يمكن القول أنه إذا كان تاريخ الفلسفة الغربية يبدأ من اليونان في القرن السادس ق.م بالمدرسة الأيونية ، فإن تاريخ النساء الفلاسفة يبدأ في القرن السادس أيضا بالمدرسة الفيثاغورية .[٢٤] فبداية الفلسفة عند الرجال هي نفسها بدايتها عند النساء تقريبا ، هذا على الرغم من أن النساء اليونانيات كن محرومات تقريبا من الحقوق السياسية والاجتماعية والثقافية التي يتمتع بها الرجال ، وكان مكانهن الوحيد هو البيت ، أما الفلسفة فكانت أبعد ما يكون عنهن ؛ طالما أن ممارستها تتضمن في أغلب الأحوال مناقشة النظريات فى جماعات أو حلقات خارج البيت، لكن المرأة الفيثاغورية وجدت الفرصة لدخول ميدان الفلسفة وقهر استعباد الرجال لها ، فحققت لنفسها ولبنات جنسها مركزاً سامياً ومجدا عظيماً .[٢٥]

شعرت الفيثاغوريات أن واجبهن يحتم عليهن بوصفهن نساء فلاسفة ومفكرات متنورات فى مجتمع جامد منغلق يحجم دور المرأة ويجعلها الجنس الثانى فيه ، مساعدة وتعليم النساء الأخريات فى هذا المجتمع الأشياء التي ينبغي أن تتعلمها المرأة من أجل أن تعيش حياة سعيدة . حقا لم يكن بوسعهن ، ولا بمقدورهن أن يكسرن القيود الجامدة التي تحتم على النساء آنذاك أن تقبعن فى البيوت لا تغادرها ، ما كان بوسعهن وفعلنه حقا بذكاء شديد هو التحايل على هذا الوضع ، بأن تساعدن غيرهن من النساء على تحقيق مبدأ "الهارمونيا" داخل بيوتهن ، وفى الحياة ككل بعد ذلك . لقد أمنت الفيثاغوريات أن أول خطوة نحو تحقيق حياة سعيدة للجميع هي خلق بيت سعيد متناغم .[٢٦] لذلك سعت الفيثاغوريات إلي تعليم غيرهن كيف يعشن حياة متناغمة ، وكيف يحققن العدالة والتناغم فى بيوتهن . واستخدمت الفيثاغوريات فى سبيل ذلك منهجاً واقعياً متطرفاً فى فلسفة الأخلاق، بينما أستخدم الفيثاغوريون الرجال منهجاً "مثالياً عقلياً" فى تعليم الرجال تحقيق مبدأ التناغم فى أنفسهم ومدنهم ، فلأن طبيعة الجنسين مختلفة اختلفت المهمتان والمنهجان .[٢٧]

يمكن القول إذن أن أوضح الاختلافات بين طرق التفلسف التي مارسها الرجال ، وتلك التي مارستها النساء قائم في نصوص الفيثاغوريات ؛ فبينما كان الفيثاغوريات منشغلات بتطبيق النظرية الأخلاقية على جوانب الحياة اليومية انصب اهتمام الرجال على الأخلاق المكرسة لبناء نظريات مثالية . انشغلت الفيثاغوريات ــ كما تقول مارى ويث ــ انشغالاً كاملاً تقريبا بتحليل الطريقة التي يمكن من خلالها تطبيق مبدأ الهارمونيا المعياري على ممارسة كل أمور الحياة اليومية ، أي كن مهتمات بالبحث عن الطريقة المثلي لتحقيق هذا المبدأ فى إنجاز أدوارهن الاجتماعية المقدرة عليهن ، وفى ذات الوقت توعية الأخريات من النساء بهذه الطريقة فيديرون بيتا متناغما ، ويربين أطفالاً أصحاء ممتازين . أما الرجال فسعوا إلي نشر التناغم فى المجتمع ، وإقامة مدينة عادلة .[٢٨]

نُرى كيف أمكن للفيثاغوريات ممارسة هذا الدور التنويري في هذا المجتمع المنغلق ؟؟ وهل نجحن في نشر هذه الرسالة؟؟ وما هي الوسائل

والطـرق التي استخدمنها لتحقيق مبدأ التناغم في البيت؟ وما هي المجالات التي رأت الفيثاغوريات أن نساء عصرهن قادرات أن يطبقن مبدأ الهارمونيا عليها دون خروج على القيود الصارمة التي يعشن في كنفها؟؟

يمكننا تتبع هذا الدور التنويري للنساء الفيثاغوريات في استخدام مبدأ "الهارمونيا" استخداما عملياً من خلال تتبع تطبيقاتهن له في المجالات التالية :- الحكمة ، تدبير أمور البيت ، تنشئة الأطفال ، وأخيراً العلاقات الزوجية . وسـوف نتـناول كـل مجـال منها بشئ من الإيضاح لنرى ما الذي فعلته الفيثاغوريات بمبدأ "الهارمونيا" النظري في تطبيقه على أرض الواقع .

أ- الهارمونياوالحكمة:-

كان الدافع الذي دفع الفيثاغوريين إلي القول بالعدد كأصل للأشياء في رأيـنا هـو مـبدأ "الهارمونيا" والذي لمسه الفيثاغوريون في جوانب الكون المخـتلفة . لقـد نقلـوا هذا التناغم الذي لمسوه بين الأجرام السماوية إلي الأشـياء ، واعـتقدوا أن كل ما في الكون خاضع له .[٢٩] فهناك علاقة وثيقة بين القول بالتناغم وبين العدد ؛ إذ يجب التعبير عن التناغم من خلال علاقة رقـم بـرقم آخر ، وأبرز مثال على ذلك التناغم الموسيقي ، وهو والتناغم الكونـي شـئ واحـد ، قائمان على الأعداد ، وكان الفيثاغوريون أول من اكتشـف ذلـك .[٣٠] وكـم جسدت هذه العلاقة القوية بين العدد وبين التناغم مقولة الفيثاغوريين الشهيرة " ليس الكون سوى تناغم وعدد ."

أمنت الفيثاغورية بأن هناك لحنا موسيقياً يتم عزفه في جوانب الكون كلـه ، صحيح أننا نعجز عن سماع هذا اللحن الآن ، ولكن عجزنا هذا ليس دلـيلاً علـى عدم وجوده . وهناك رواية تذكر أن فيثاغورس نفسه زعم أنه يسـمع بوضـوح هذا اللحن الصادر عن الأفلاك السماوية عند تحركها .[٣١] ونعـتقد نحـن أن الدافع الذي كان يدفع فيثاغورس إلي أن يفرض الصمت على تلاميذه عند أول التحاقهم بالمدرسة ولمدة خمس سنوات ، هو أن يتيح لهم الفرصة الكافية لفهم التناغم القائم في الكون ، والإنصات إليه بعيدا عن ضـجيج الحـياة الخارجية . أما سبب أننا لا نسمع هذا اللحن الجميل فيرده الفيـثاغوريون ـ كمـا يروي أرسطو ـ إلى ما في حياتنا العملية من جلبة وضوضـاء وصخب يمنعنا من التقاط هذا اللحن البديع ،فضلا عن أن تعودنا

عليه جعله شيئا عاديا مألوفا ، ولا يثير انتباه أحد ، تماما مثل تعود العاملين في حانوت الحداد على أصوات المطارق العالية مما جعلها لا تثير أي إزعاج لديهم ، في حين أنها تزعج بشدة من يذهب إليهم لأول مرة .[٣٢]

توجد إذن عند الفيثاغوريين "هارمونيا" بين كل أجزاء الكون ، وفي حركة الأفلاك الدائرية من الغرب إلي الشرق حول النار المركزية في سرعة تتناسب مع المسافة التي يبعدها كل جرم منها عن النار المركزية ، محدثة بذلك ثمانية أنغام ، والتي تؤلف بدورها "الأوكتاف" ، وبالتالي الهارمونيا .[٣٣] وكانت حجة الفيثاغوريين في ذلك أن المسافات بين الأفلاك وبين النار المركزية تتفق مع مساحات العلامات الموسيقية في السلم الموسيقي . إذ افترضوا أن الأفلاك السماوية تنفصل بمسافات موسيقية ، وأن الكواكب تنبعث منها أنغام منسقة . وعندهم أن أصوات حركات الأفلاك تصدر لأن الجسم إذا تحرك بشئ من السرعة أحدث صوتا هو صوت اهتزاز الأثير أو الهواء . فلا بد أن يكون لحركات الأفلاك في الأثير العلوي أصوات متفاوتة حسب تفاوت سرعة الفلك ، كما تتفاوت في القيثارة سرعة الاهتزازات بتفاوت طول الأوتار ، فلابد أن تكون في السماء ألحان كألحان القيثارة .[٣٤] ولا يوجد هذا التناغم في الأفلاك السماوية في الكون وحدها ، بل ويوجد حتى في الجسم الإنساني ، فليس الجسد البشري سوي صورة مصغرة للكون الكبير ، إنه كون صغير ، والعالم إنسان كبير . حيث تذكر المصادر أن فيثاغورس وفولاوس اعتبرا النفس ــ على لسان سيمياسSimmias وكيبيسKebes تلميذيهما ــ تناغماً للجسم .[٣٥] أي تناغما بين الكيفيات المركب منها الجسم ، بحيث تدوم الحياة ما دام النغم قائماً وتنعدم بانعدامه . إن النفس أشبه بنغم القيثارة ، فيها من الحرارة والبرودة ما في أوتار القيثارة من غليظ ورفيع الأصوات .[٣٦] أما "ألقيماون" الكروتوني ــ وقد كان طبيباً في أوائل القرن الخامس ق.م ــ فقد نظر إلي الجسم البشري على أنه نتاج مترتب على امتزاج الأضداد واختلاطها بنسب متناغمة . والصحة وفقا له هي تناغم بين قوى : الرطب والجاف والبارد والحار والحلو والمر ، في حين أن سيطرة قوة منها على الأخرى هي المرض . الصحة هي تناسب قوى الجسم وفقا لمعيار دقيق .[٣٧]

يسيطر التناغم على الأشياء جميعا عند الفيثاغوريين ، وذلك لأن العالم خاضع عندهم لنواميس إلهية ثابتة هي نواميس العدد والاعتدال ، لذلك لم يكن بدعا أن أمن الفيثاغوريون بأن فيثاغورس زعيمهم قد تقمص روح الإله "أبوللو" إله الاعتدال والتوسط اليوناني ، وقدسوا الإله "أبوللو" تقديسا خاصا .[٣٨] وهناك رواية تذكر أن فيثاغورس طلب من المجلس في مدينة كروتون إقامة معبد لآلهة الموزات الثلاث Muses .[٣٩] وهن كما نعلم آلهة الجبل اللاتي يعملن معا بشكل جماعي ، وهن كورال التناغم والانسجام ، أي كن عند الفيثاغورية رمزاً لوحدة العقول .

كان العالم كما أدركته الفيثاغورية نظاماً مبهماً من الأعداد والأنغام ، أو قل هو وحدة متناسقة واحدة . ومن هنا قال فيثاغورس أن علاقة الأعداد المتناسقة هي عين علاقة الأنغام المتناغمة ، فالرياضيات في الواقع أعلى مراتب الحكمة ، والحكمة هي أعلى مراتب الموسيقي ، وذلك لأن المواد الثلاث تهدف معا إلي فهم أفضل لعالم كامل النظام ، تام التناسب .[٤٠] وقد رددت الفيثاغوريات هذا التصور للعدد والتناغم ، ودورهما المحوري في تفسير الكون أجمع ، حيث نجد "ثيانو" زوجة فيثاغورس تكتب في نظرية العدد مؤكدة مثل كل الفيثاغوريين أن العدد هو المبدأ الذي يقف خلف النظام القائم في الكون ، وهو الذي يساعد على تمييز شئ عن آخر ، وأمنت أن سبب ما للأعداد من قيمة عالية هو أنها التي تمنح الكون النظام.[٤١] وذكرت "إيزارا اللوكانية" أن التناغم هو مبدأ " كل ما هو موجود من الأشياء، بما فيها الهندسة والحساب والموسيقي ." وورد في احدي المأثورات المنسوبة إلي أريجنوت ابنة فيثاغورس " أن العلة العليا المنظمة لكل من السماء والأرض والعالم الموجود بينهما هي جوهر العدد الخالد."[٤٢] كما أنه عندها هو أساس الوجود الدائم للآلهة والملائكة والبشر ، وأمنت كذلك بأن " كل ما يوجد من أشياء يتم التمييز بينها من خلال العد . الأعداد مباطنة للأشياء ، كما أنها تعبر عن العلاقة الدقيقة بين الأشياء . فجوهر الأعداد هو الذي يقف وراء الوجود المتناغم للأشياء جميعا.[٤٣] ويتفق هذا مع تعقيب منسوب إلي والدتها "ثيانو" تقول فيه " من الممكن تمييز كل ما هو موجود ، وكل ما هو حقيقي عن غيره من الأشياء الأخرى من خلال العدد . كما أن جوهر

العـدد الخالد متصل اتصالاً مباشراً بالوجود المتناغم المتآزر للأشياء جميعا. فالتـناغم هو ترابط رياضي . وبهذا فالعدد هو العلة التي تقف وراء الأشياء جمـيعا ، وبدونه لن يمكننا أن نحصى ، ولا أن نفرق بين الأشياء ، كما أنه يعبر عن علاقات الترابط الوثيق بين الأشياء."[٤٤]

ومـن الممكـن فهم النظرة التي نظر بها الفيثاغوريات إلي العدد كمبدأ منظم على أنها كانت رداً على المشكلة المثارة دائما باستمرار بين الإيلية و الهيراقليطـية : مشكلة الواحد والكثرة . ففي نظرتهن هذه افترضن أن هناك أعـداداً ثابـتة هي الجوهر الثابت القائم خلف الأشياء المتغيرة ، إنها القوة المدبـرة لعملـية التغير ، والحافظ لوجود التناغم في الكون .[٤٥] وهي عقيدة نقلها أفلاطون إلي مذهبه ، فجعل هناك عالما للصور الثابتة ، وآخر للأشياء المادية المتغيرة .

ولكـن كيف يكون العالم متناغماً عند الفيثاغوريات ؟؟ والإجابة على ذلـك نجدهـا عـن "ثيانو" الكروتونية فالكون ــ كما تقول في شذرة لها ــ متـناغم لأن النفس مذنبة دائما ، وهناك قانون متغير وفان حولنا ، وبالتالي فلو لم يكن الكون منظماً تنظيماً إلهياً علوياً لنجت النفس المذنبة من العقاب، ولكن الواقع يشهد بأن النفس تعاقب عند الموت لتدميرها التوازن القائم فى الكـون بأفعالهـا الشـريرة ، مما يدل على أن الكون يسير على نظام أبدي مسـبق ، ومـن هـنا يتحقق التناغم في الكون بأن يتم إصلاح الأشياء التي وقعـت فـيه علـى سبيل الخطأ، ولو لم تكن النفس خالدة فسوف يدمر هذا التـناغم فـي الكـون أجمع .[٤٦] ونستشف من هذه الشذرة ضرورة لعملية التناسـخ ، وذلـك لن من خلالها يُعاد نشر التناغم فى الكون من جديد مرة أخـرى،عـندما يحدث ويخرق شخص ما هذا التناغم بانتهاكه حرمة القانون الإلهي في حياته السالفة.[٤٧]

لقـد نظـرت الفيـثاغوريات إلـي الكـون تلك النظرة التي اعتنقها الفيـثاغوريون الرجال ، بأنه بناء منسق تنسيقاً متناغماً ، وأن كل شئ فيه يحمل ارتباطاً وثيقاً بكل شئ آخر. ويتحقق التناغم عندما تكون الأشياء على تناسـبها الحقيقي بكل شئ آخر . اعتقد فيثاغورس وتلاميذه أن الحكمة هي الطريق الذي يقود إلي اكتشاف هذا التناغم الخفي ، وهذه الهارمونيا البديعة

القائمة في جوانب الكون المختلفة . ومن هنا شدد فيثاغورس على ضرورة تشبع النفس بالحكمة والتأمل ، حتى تستطيع النفاذ إلي فهم جوهر هذا الائتلاف ، وأعلى من شأن طبقة الحكماء ، وجعلها أرفع الطبقات في تقسيمه الثلاثي لطبقات المجتمع .[٤٨] لأنها الطبقة التي لا تهمها المصالح المادية ، ولا اللذات الجسدية ، وإنما تعكف على تأمل النظام الكوني البديع ، مستمتعة بما تشاهده ، وبما تسمعه من لحن كوني جميل . فلئن كانت الحكمة هي طريقنا في نظر الفيثاغوريين إلي معرفة ما في الكون من "هارمونيا" وجمال، فيجب ألا تكون حكراً على الرجال وحدهم ، بل يجب أن تمارسها النساء ممارسة الرجال . فطبيعة المرأة لا تتعارض مع الحكمة والتأمل كما أشاع ذلك أعداء المرأة من الرجال عبر العصور المختلفة ، إنها أغلوطة ظلت تتردد عبر العصور إلي أن وصلت إلي عصرنا الحالي .

ليست الحكمة حكراً على عقول الرجال ، بل تناسب طبيعة النساء أيضا ، إذ لا فرق بين عقلية الرجل وعقلية المرأة في ذلك . وهي عقيدة أمنت بها الفيثاغوريات بكل يقين ، موجهين بها ضربة قاضية إلي الأوضاع القمعية الجامدة التي كانت مفروضة على النساء في عصرهن . حاولت الفلاسفة الفيثاغوريات كسر القيود الحديدية التي وضعها الرجال على عقول النساء عبر العصور . إذ تخبرنا الشذرات المنحدرة من "ثيانو" ومن إيزارا اللوكانية ، ومن ثيانو الثانية وفينتس وبركتيوني الأولي تأكيدات مشددة على حق المرأة في ممارسة الحكمة مثل الرجال . فقد أعلنت فينتس خطأ ما يعتقده كثير من الناس بأن التفلسف نشاط غير مناسب للمرأة ، فليس هذا من الواقع في شئ ، وذلك لأن الحكمة مناسبة وملائمة لكل من الرجال والنساء.[٤٩] حقا هناك فضائل خاصة بالرجال وأخرى خاصة بالنساء ، وتلك التي تخص الرجال لا تناسب طبيعة النساء ، غير أن العدالة والحكمة وضبط النفس فضائل مشتركة بين الجنسين . فإذا كان مطلوباً من المرأة أن تعيش حياة متناغمة ، وأن تربى أطفالاً متناغمين ، وتدبر أمور بيت سعيد ، فلن يتحقق لها ذلك إلا بالحكمة والتبصر . وتشارك بركتيوني الأولي في هذا الاعتقاد بضرورة أن تمارس النساء التفلسف والحكمة مثل الرجال ، وفي رأيها أن النساء عندما يمارسن الحكمة وضبط النفس سوف يمكنهن ذلك من

أستلهام الفضائل الأخرى بما فى ذلك العدالة والشجاعة .[٥٠] تقول في كتابها " فـي تـناغم النسـاء" : " ينبغي الإيمان بأن المرأة المتناغمة امرأة ممتلئة بالحكمة وضبط النفس ، ولا شك أن معرفة النفس بالخير تزداد ازدياداً كبيراً عـندما تكـون الـنفس عادلة وشجاعة وحكيمة ، ومتزينة بفضيلة الاكتفاء الذاتي ، نافرة من الآراء العبثية ."[٥١] وتقول في نص أخر " إنني مؤمنة بأن علـى المرأة العيش وفقا للأسلوب التالي لكي تصبح امرأة متناغمة : عليها أن تصبح ممتلئة بالحكمة وبفضيلة ضبط النفس ، ولن يفيد ذلك زوجها فقط ، بل والأولاد والأقارب والعبيد والمنزل بجملته ."[٥٢]

وهناك شذرة منحدرة من كتاب "بركتيوني الثانية" والذي بعنوان " في الحكمة" تؤكد فيها على أن مهمة الإنسان الأساسية فى هذه الحياة هي تأمل وتحلـيل كـيف ترتد الأشياء جميعا في الأصل إلي مبدأ واحد أساسي ، وأن وظـيفة الفلسـفة هـي الوصول إلي معرفة هذا المبدأ . فعلى الإنسان تأمل الغـرض الـذي مـن أجلـه وجدت الأشياء ، وهذا المبدأ هو "الهارمونيا" . والمرأة الحكيمة هي التي تتوصل إلي معرفة الرباط الذي يربط بين الإخلاص للـزوج وحسـن تربية الأبناء والعطف على الأبوين ، والإخلاص في العبادة والسـلوك ـ هـي الأقـدر علـى موائمـة أفعالها مع مقتضيات هذا المبدأ "التناغم".[٥٣] فيجب أن تمارس النساء الحكمة . ولاشك أن الفوائد التي سوف تترتـب علـى هذا عظيمة فى الأسرة والمجتمع . إذ تضحى المرأة الحكيمة امرأة تحسن اختيار وتقدير أفضل الطرق لتحقيق التناغم بأفعالها ، والأعظم قدرة على التصرف بشكل فاضل . وترى "مارى ويث" أن النتيجة التي يمكن استخلاصها من أقوال الفيثاغوريات السابقة هي المناداة بضرورة أن تمارس النسـاء التفلسـف طالما أنهن يعشن فى مجتمع يضع كثيراً من القيود على الوسائل التي يمكن للنساء من خلالها أن يحققن مبدأ التناغم هذا بحرية .[٥٤]

فـإذا كانت التقاليد والأوضاع التي فرضها الرجل على المرأة منذ القدم تلـزمها البيت لا تغادره ، وتحصر واجبها فى عمل البيت وتنشئة الأطفال ، فـالأدعى أن تنجز هذه المهمة على أكمل وجه ممكن ، ولن يتحقق لها كمال هـذه المهمـة إلا بالحكمـة والاعتدال وحسن التصرف فى أفعالها . فهناك ضرورة إذن أن تمارس النساء الحكمة . ومن هنا يمكن القول بأن الفلاسفة

الفيثاغوريات سلمن بالأوضاع القائمة المتردية للمرأة في عصرهن ، ولم تحاولن الخروج عليها ، أو حتى الدعوة إلي تغييرها والدعوة إلي تحرير المرأة منها ، بل أن كل ما فعلنه هو أنهن حاولن احتواء هذا الوضع ، وذلك بمساعدة النساء على إنجاز أدوارهن المرسومة لهن في العرف والتقاليد الجامدة على خير وجه . فلم تكن النساء الفيثاغوريات ثوريات في تحرير بنات جنسهن ، بل سلمن بما هو قائم ، ولم يتطلعن إلي ما ينبغي أن تكون عليه أوضاع النساء . وكل ما كان ثورياً لديهن هو تقديم وسيلة جديدة وهي "الحكمة" والتي من خلالها يمكن للمرأة أن تنجز دورها المرسوم لها . فلم يكن عملهن هذا ثورة بقدر ما كان تكريساً للوضع القائم .

لكن دعنا نتسأل: كيف يمكن للمرأة– والتي حازت على قدر من الحكمة – أن تحقق التناغم في بيتها، وتؤدي الدور المرسوم لها على خير وجه ؟

ب- الهارمونيا في تدبير شئون البيت

تفترض معظم الفيثاغوريات أن مكان المرأة هو البيت وليس خارجه ، وان دورها ومسئوليتها هو خلق بيت متناغم ورعايته . وشعرت الفيثاغوريات برغبة شديدة – كما قلنا – في الأخذ بيد النساء الأخريات ، وتعليمهن الأشياء التي ينبغي أن يعرفنها من أجل أن يعشن حياة كريمة مستقرة . شعرت الفيثاغوريات بأن واجبهن كفلاسفة مساعدة غيرهن من النساء على خلق التناغم داخل بيوتهن ، وفي الحياة بوجه عام . إيمانا منهن أن أول خطوة نحو تحقيق حياة أمنه مستقرة ، ومجتمع مثالي هي قيام بيت أمن يسوده الحب . وإذا أردنا أن نتعرف على تصور الفيثاغوريات لكيفية تحقيق النساء للتناغم في بيوتهن وفاءً للدور الاجتماعي المرسوم لهن ، وجدنا أن هناك خيطاً واحداً مشتركاً في الفكر بين هؤلاء الفيثاغوريات ، وهو مفهوم الاعتدال . وهو مفهوم مأخوذ من فيثاغورس نفسه ، حيث تذكر الروايات أنه حث النساء والرجال على هجر الترف ، وألزمهم بالاعتدال . مما جعل الكثيرين من أتباعه يتنازلون عن ممتلكاتهم الثمينة ، وهجرت النساء – كما يروي يامبليخوس – ثيابهن الفاخرة المحلاة بالجواهر فخصصها فيثاغورس لمعبد "هيرا" ، مؤكدا على أن الزينة الوحيدة الواجب أن تتحلى بها النساء هي تاج العفة .[٥٥]

لقد رأينا أن الكون لدي الفيثاغوريات بناء مؤلف من أضداد ، ولكي يعمل ككل واحد متناغم يجب أن تتحد هذه الأضداد في وحدة متناغمة ، والأمر بالمثل في مجال السلوكيات البشرية . إذ يتحقق التناغم فى كل شئون الحياة البشرية بواسطة التصرف باعتدال ، لذلك كانت المرأة الفاضلة في نظر هؤلاء الفيثاغوريات هي تلك التي تكافح في حياتها لحفظ وتنفيذ مبدأ "التناغم" وذلك بالحرص على أن تسلك باعتدال دائما .[٥٦]فعلى المرأة الالتزام بالاعتدال في تصرفاتها داخل البيت لتحافظ على وحدته وتناغمه ، لأن النساء يحملن على عاتقهن – وهن اللاتي يكون الاعتدال فضيلتهن المميزة – مسئولية حفظ وترسيخ القانون والعدالة داخل البيت . ووفقا لإيزارا اللوكانية ليس البيت سوي صورة مصغرة للدولة ، وبالتالي فعلى النساء مسئولية تهيئة الظروف التي يمكن في ظلها أن يسود التناغم والنظام داخل المدينة . أما أولئك اللآتي لا يفهمن هذه المسئولية فهن – في رأي إيزارا – تسهمن بنفس الدرجة في نشر الفوضى والاضطراب في المدينة .[٥٧]

تتفق مع هذا الرأي بضرورة أن تلتزم النساء بالاعتدال داخل بيوتهن فيلسوفة فيثاغورية أخرى هي فينتس الاسبرطية ، فقد وضعت كتاباً بأكمله في اعتدال النساء ، نادت فيه بأنه لن يتحقق واجب المرأة في أن تكون صالحة ومنظمة داخل بيتها بدون فضيلة الاعتدال ، فهي التي تجعل المرأة امرأة حقا ، وهي أعظم فضيلة ملائمة للمرأة . وبفضلها تغدو المرأة هي الأقدر على طاعة واحترام زوجها .[٥٨] وعندما تقول فينتس أن الاعتدال أكثر ملائمة للمرأة لأن مجالها الخاص هو البيت ، لم تكن تحط من فضيلة العمل المنزلي . وذلك لأن الفيثاغوريات أمنَ بأن عمل النساء في البيت هو المعادل الأخلاقي لعمل الرجال في الخارج . ولكي تعتدل المرأة في تصرفاتها توصيها "فينتس" بالاعتدال في اللبس ، إذ يجب أن تهجر الزينة المتكلفة ، وترتدي الثياب البسيطة ، وحرمت على النساء التحلي بالجواهر ، وطالبت بإخراج الصاغة من المدينة.[٥٩] كما وصت بضرورة الاعتدال حتى فى العبادة الدينية التي تؤديها النساء في البيت وخارجه ، فلا يجب الإسراف في الصلاة والقرابين ، فكثرة العبادة مذمة بنفس درجة قلتها . وحرمت على النساء ممارسة الطقوس الدينية السرية فى الاحتفالات العامة لأنها تقود إلي

التهور وربما إلي السكر والخبل الذهني ، إن مسئولية المرأة ممارسة الاعتدال في كل الأوقات .[٦٠]

هناك خمسة جوانب تتحقق فضيلة اعتدال المرأة من خلالها داخل بيتها في نظر فينتس وهي : احترام وتقديس فراش الزوجية ، الالتزام بالحشمة فيما يخص جسدها ولبسها ، إبداء مظاهر الاحتفاء والرعاية بأهل منزلها ، عدم الانغماس في الطقوس الدينية السرية ، وأخيرا أن تكون مؤمنة ورعة تقدم القرابين برضي نفس واعتدال للآلهة .[٦١] إن خير زينة للمرأة المعتدلة هي الوقار والحشمة ، وهي زينة تجلب الشرف للزوج الذي يشاركها حياتها ، وتجلبه لنفسها . إن المرأة في رأي فينتس من الممكن أن تحقق مبدأ التناغم بأفضل صورة لو التزمت بالاعتدال في سلوكها العام ، فتتحاشى البذخ والرياء بالثروة ، فكلها أمور تدمر التناغم القائم في المدينة ، لأنها تثير الحسد والضغينة في نفوس الأخريات ، وتقود إلي الفتنة الطبقية . لابد أن تدرك المرأة المعتدلة أن جمال المدينة بجملته سوف ينهار بإسرافها في اللباس والزينة ، أو في استعراض الثراء وذلك بأن تصطحب المرأة معها في سيرها موكباً حافلاً من الوصيفات والعبيد .[٦٢]

لا تخرج عن ذلك النهج السابق كثيرا "بركتيوني الأولي" في كتابها "في تناغم النساء" . إنها تمسك بهذا الخيط المشترك بين كل الفيثاغوريات ، ففي رأيها أن واجب المرأة داخل بيتها أن تتصرف بحكمة وضبط نفس " تسيطر علي شهواتها وعلى مشاعرها المتأججة ، فلا تخضع لنداء الشهوات المحرمة ، وتحتفظ بالولاء لزوجها ولأطفالها ولأهلها أجمعين ، ينبغي أن تتعود على إتباع قواعد الطبيعة في الأكل والثياب والاستحمام وأدوات الزينة، لأن النساء غير المعتدلات في كل ذلك يكن سريعات الانحراف نحو الخطيئة من كل نوع ."[٦٣] فهناك أمور في رأي بركتيوني تضر أكثر مما تنفع، مثل التزين بالحلي والأحجار الكريمة ، وتصفيف الشعر ببدع متكلفة ، والرغبة في الشئ المثير والخلاب ، لذا يجب على المرأة أن تتحاشى هذه الأمور ، وتتحاشى التباهي والتفاخر. ثم تسعى "بركتيوني" بعد ذلك إلى تحديد أولويات الواجبات التي تتحتم على المرأة فعلها ، وهي بهذا الترتيب : طاعة الآلهة ، ثم طاعة نظم الأسلاف وقوانينهم ، ثم احترام الوالدين

وتوقيرهما ، لأنهما هما سبب حياتها مثل الآلهة، ثم طاعة الزوج والإحسان إلـــي أهلـــه ، والاعتدال في معاملة الخدم.[٦٤] فالمرأة التي تخرج على طاعة والديها تخرق بذلك مبدأ التناغم الواجب سيادته داخل البيت ، ولن يُغتفر لها أبـــدا التلفظ بالألفاظ النابية عنهما ، أما إذا أخطأ الوالدان فمن الممكن للمرأة أن تقنعهما بالرجوع إلي جادة الصواب دون قسوة عليهما .[٦٥]

ولاشـــك أن المـــرأة التـــي تعيش وفقا للأسلوب السابق ، سوف تفيد الجمـــيع في البيت ، لأنها تحافظ على توازن بيتها ، تتحدث وتستمع إلي ما هـــو عـــادل ، مطيعة لزوجها فى كل أمور حياتهما المشتركة . ومما يجعل وصـــايا بركتيونـــي السابقة بالغة الأثر ، أن بركتيوني نفسها التي قالت بها كانـــت واســـعة الثراء ، ولديها العديد من الجواري . حقا هي لا تنكر التميز والـــرفعة ، ومـــا تنكره هو انغماس المرأة في التفاخر والتباهي، فهو بداية الســـقوط في منحدر زلق ، لذلك كان الاعتدال فهو الفضيلة الأولي التي تقود إلـــي قيام الفضائل الأخرى ، وكان الإفراط الرذيلة الأم التي تفتح الباب على مصـــرعه لكـــل الخطايا الأخرى .[٦٦]وتشترك بركتيوني هنا مع الفيثاغوريات الأخـــريات فـــى اتخاذ نزعة براجماتية (عملية) فيما يتعلق بدور النساء فى المجـــتمع ، وليست نزعة ثورية ، حيث تجعل مكانهن البيت ، ويجب عليهن تحقـــيق الفضيلة من خلال المحافظة وتطوير هذا الدور بشكل متناغم ، ومع ذلك فلا يجب حجب التعليم عن النساء .[٦٧]

كمـــا أكـــدت "ثـــيانو الثانية" في خطابها إلي"ايبولي" Eubonle على ضـــرورة أن تكـــون الزوجة قادرة على خلق التناغم والعدالة داخل بيتها ، فهـــذه هي فضيلتها الخاصة .[٦٨] والتزمت ثيانو زوجة فيثاغورس بالاعتدال فـــي بيتها عن إيمان قوي بأنه هو فضيلة المرأة الخاصة ، وكانت مثلاً أعلى لكـــل الفيثاغوريات الأخريات ، وكم كانت مقولتها الشهيرة معبرة ومؤثرة " إنـــه لأفضل للمرأة أن تكون على ظهر جواد جامح ، من أن تكون امرأة بلا تعقـــل."[٦٩] ولذلك ذكرها بلوتارخ باحترام كبير ، متخذا إياها قدوة لكل النساء الأخريات قائلاً " ليس بمقدورك أن تحصلي على المجوهرات التي نتزين بها امـــرأة ثرية ، ولا الملابس الحريرية التي تتزين بها امرأة أجنبية تزينين بها

نفسك ما لم تبتاعينها بثمن باهظ ، لذا يجب عليك أن تحصلي وتزيني نفسك بحلي ثيانو ذات الشهرة العظيمة ، والتي عاشت حياة سعيدة ومجيدة."[٧٠]

كان واجب المرأة كما رأته الفيثاغوريات ينحصر في صون القانون ، والسهر على تحقيق الاعتدال والتناغم في البيت، والا نشرت الفوضى في المجتمع . وذلك لأن التناغم ــ كما تقول بركتيوني الأولي ــ هو تألف الجميع معا ، وذلك بأن يصبح كل عضو جزءاً لا يتجزأ من الكل . ولذا فإن ما تفعله المرأة فى حياتها وبيتها يؤثر على الجميع ، وإخلالها بواجباتها في البيت نحو زوجها أو أولادها فيه تخلى منها عن تحقيق صالح الكل ، إنها تضحى هنا كعدو داخل الحمى .[٧١] بل حتى في معاملة المرأة للخدم والعبيد في البيت عليها أن تلتزم بمبدأ التناغم والاعتدال والرحمة من أجل المحافظة على استقرار البيت وسلامته ، وهذا ما شددت عليه ثيانو الثانية في رسالتها إلى "كاليستو"Kallistou ، عليها أن تعاملهم معاملة إنسانية حسنة، فلا تستغلهم ، وتتحاشى الجشع.[٧٢]وعند إيقاع العقاب بالعبد المذنب يجب على ربة البيت أن تخبر العبد بأسباب العقوبة قبل أن تعاقبه بها، كما أن عليها مراعاة العدل والرحمة. فأحيانا ما تهدى سماحة ربة البيت أولئك الذين ارتكبوا الإثم فى حقها . وعليها عدم التراخي وفى ذات الوقت عدم الشدة والقسوة مع الخدم ، إذ سوف يفسد ذلك طبيعة العبيد ، بل يجب عليها التوسط في كل شئ ، يجب عليها التوسط في كل ذلك . فالاعتدال المنصف هو الأفضل فى كل شئ دائما.[٧٣]

وفى تعليق فيكي هاربر على رسالة ثيانو السابقة تؤكد على أن ما يوجد من نظرة تبعية للخدم فيها يأتي من زاوية تابعية الدور الاجتماعي الذي تؤديه ربة البيت نفسها ، فكلاهما ــ ربة البيت والخدم ــ كانا آنذاك وسيلة لنشر وحفظ النظام الاجتماعي المتناغم ، وكلاهما يجب أن يكونا على علاقة متناغمة فيما بينهم .[٧٤]لكن الشئ اللافت للنظر في هذه الرسالة هو ذلك الحس الإنساني الرقيق من المؤلفة نحو العبيد ، إذ يحس المرء من الرسالة بميل من جانب الكاتبة للنظر إلي العبيد كموجودات ذات قيمة .[٧٥]ويبرز هذا الجانب الإنساني فى طلب الكاتبة باحترام أدمية العبيد بعدم عقابهم بلا جريمة ، وضرورة إخبارهم بأسباب العقوبة. ولكن هذا الشعور

بإنسانية العبيد لم يكن بالقوة ، ولا كانت ظروف المجتمع ملائمة آنذاك ، للدعوة إلي تحرير العبيد من الرق ، ومساواتهم بالأحرار على ما سوف يفعل السفسطائيون فيما بعد .

نتبين مما سبق مغزى إجماع الفيثاغوريات على أن الاعتدال هو فضيلة المرأة المميزة . فقد قصدن القول بأنه إذا كان التنظير لما ينبغي أن تكون عليه الدولة المثالية من عمل الرجال ، فإن الشجاعة والحكمة فضيلة الرجل، أما في ضوء الحياة المقيدة التي تعيشها النساء في البيت، نجد أنهن عندما يقمن بأداء واجباتهن الخاصة سوف يدعمن التناغم في المدينة ، فإن الاعتدال في هذه الحالة يصبح فضيلتهن الخاصة ، وبدونه لن تملك هؤلاء النساء الصبر والجلد اللازمان لتربية الأطفال وحسن معاملة الآخرين من الناس.

جـ الهارمونيا في العلاقة الزوجية :-

نادت الفيثاغورية بأن هناك قانون كوني عام فرضه الإله ، ويتمثل عمل هذا القانون فيما يسود العالم من تناغم وانسجام يحدد لكل جزئية فيه مكانها ودورها في دراما الوجود . وأمنت أيضا بأن العقاب سوف يحل حتما بمن لا يؤدي دوره المنوط به بواسطة العدالة الكونية . والفاضل هو من يطيع هذا القانون ، ويعمل على تحقيق التناغم الكوني . ولا يمكن لأحد أن يحيد عن الإرادة الإلهية ، بل عليه طاعتها ، والسعي قدر الامكان إلي التشبه بالإله ، فهذا هو المثل الأخلاقي الأعلى للفيثاغوريين.[٧٦]

اعتنقت الفيثاغوريات هذه العقيدة ، حيث أمنت بوجود قانون إلهي كوني يعم الكون كله . وتذهب إيزارا إلي أن الإنسان بمقدوره اكتشاف هذا القانون الإلهي من خلال استبطان طبيعة النفس البشرية . " إننا سوف نتوصل من خلال استبطان طبيعة النفس إلي فهم طبيعة القانون والعدالة في المستويات الفردية والأسرية والاجتماعية على السواء.[٧٧] وإيزارا تعتمد هنا على نظرية حدسية في أصل القانون . وتؤكد على أن التناغم هو أساس القانون والعدل والسيكولوجية البشرية ، وذلك عندما تقرر في كتابها " في الطبيعة البشرية" أن النفس البشرية تنقسم إلي أجزاء ثلاثة هي: العقل ويقوم بعمليتي التفكير والحكم ، والروح وهي التي تبث الحمية والشدة ،

والشهوة وهي التي تبث الحب والعاطفة . والمبدأ الذي يحكم عمل هذه الأجزاء هو التناغم ، فلا يطغي جزء على آخر.[٧٨] وهذا المبدأ هو مبدأ عقلاني إلهي وظيفي، إنه مبدأ "الحصة الملائمة Appropriate proportion وتتحدد هذه الحصة الملائمة لكل جزء من أجزاء النفس بالقياس إلى نوع المهمة المطلوب من هذا الجزء أن يؤديها .[٧٩] فيجب أن يؤدي كل جزء الدور الذي يلائم طبيعته ، فيخضع الأدنى ويسود الأعلى ، وبهذا يسود التناغم والائتلاف داخل النفس . وهو مبدأ أكد عليه بشده فيثاغورس نفسه عندما نادى بأن ما يأتي في المقدمة هو الذي يكون الأكثر شرفاً . فالفجر أكثر شرفاً من الليل ، ومهندسو المدن أشرف من اللذين يقومون بالبناء، والآلهة أسمى من البشر.[٨٠] وهي النظرية التي سوف يرددها أفلاطون فيما بعد بلا إضافة تذكر.

يقوم العقل فى هذا التنظيم الثلاثي للنفس عند إيزارا بالحكم والسيادة، لأنه الأسمى ، في حين يطيع الجزءان الآخران ، فتنبت بين هذه الأجزاء الصداقة والحب . وما يفعله العقل هنا هو المواءمة بين السار والمؤلم ، فيوفق بين الجزء الجموح المندفع وبين الجزء المتراخي فيها ، فلا ينفعل أي جزء منها إلا بما يتوافق مع موضع اهتمامه الخاص ، والمتلائم مع اهتمامات الأجزاء الأخرى .[٨١] والأمر كذلك في الجسم ، حيث تتحقق الصحة الجسدية عندما يؤدي كل جزء فيه الوظيفة الخاصة به ، ويتحقق التناغم في المشاعر القائمة في الجسم عندما تسلك أجزاء الجسم بما يتوافق مع النسبة الملائمة لها . ويسرى مبدأ "الحصة الملائمة" على القوانين كذلك في رأي إيزارا . فيجب أن يراعى القانون الاعتبارات الخاصة بالأفراد الداخلين تحته . إنه قوة ردع وفى ذات الوقت قوة مفكرة تروم إقامة العدالة الحقة ، وهو أيضا قوة حب تراعى إنسانية الإنسان وتحترمها . لذا يجب أن يوفق القانون بين كونه قدرة على الإلزام وبين حاجات الأفراد الخاصة . وإذا لم يفعل وتجاهل عنصراً من هذه العناصر المؤلفة لطبيعته سوف تنتج من ذلك فوضى اجتماعية عظيمة . والأمر بالمثل في الأسرة المتناغمة فهي تراعي التوافق في المشاعر ، تراعى الحاجات الفردية الخاصة لأعضائها فتتسامح معها ، وفى ذات الوقت تراعى الانضباط والنظام .[٨٢]

كانـــت روح القانون عند الفيثاغوريات هي"الهارمونيا" أو التناغم القائم بيـــن جوانب الكون ، وبنود هذا القانون بسيطة وواضحة نلمسها في أجزاء الـــنفس ، وفـــي جـــوارح الجسم ، وفي القوانين البشرية التي نسنها على الأرض. وتتمـــثل بنوده في مبدأين أساسيين : الأول أن الحكم والسيادة يجب أن يكون للجزء الأسمى ، والطاعة من نصيب الأجزاء الأدنى. الثاني : مبدأ "الحصـــة الملائمـــة" ، فلكـــل جزء من الأجزاء في الكون وفي الأسرة وفي الإنسان حصته الملائمة لطبيعته ووظيفته في الحياة ، ويجب أن يرضى بها، ولا يحاول التطلع إلي حصة غيره فهي لا تلائمه .

لا تســـود بنود هذا القانون الإلهي على الكون فقط ، ولا على النفس أو الجســـم فقـــط ، بل وتحكم أيضا حدود العلاقة الزوجية بين الزوجين .إذ ينبغـــي أن يســـود في هذه العلاقة الأسمى ويخضع الأدنى . ومن هنا أمنت الفيـــثاغوريات بـــأن واجب المرأة الطاعة والإخلاص التامان لزوجها . حيث تؤكـــد "ثـــيانو الثانية" في خطاباتها على أن واجب النساء أن يتصرفن بعدل وطاعـــة مـــع أزواجهن حتى عندما لا يعاملهن هؤلاء الأزواج معاملة عادلة .[٨٣] إذ تتمـــثل فضـــيلة المرأة في أن تكون جديرة على خلق العدالة والتناغم في البيت، وفي الحياة الزوجية ، وإعادة التناغم إلي البيت من جديد . وهي فضـــيلة لـــن تتحقق ـــ في رأي ثيانو الثانية ـــ بمقابلة ظلم طرف بظلم من الطـــرف الآخـــر ، لأن ذلـــك سوف يقود إلي خلق مزيد من الاضطراب ، بل تكـــون مـــن خـــلال التصرف النبيل والعادل . فمن خلال ذلك يمكن أن تثبت المـــرأة أمـــام زوجها جدارتها الأخلاقية ، وبالتالي تضع أمامه مثالاً وقدوة فيقتدي به ويغير سلوكه .[٨٤] فإذا كان مكان المرأة البيت ، ودورها خلق بيت متـــناغم ، فلـــن يـــتحقق هذا إلا بطاعتها لزوجها ، والعمل على احتواء أي خـــلاف مـــن الممكن أن ينشأ بينهما ـــ حفاظاً على تماسك وتناغم الأسرة . وهـــو أمـــر أكـــدت علـــيه أيضـــا إلـــي جانب ثيانو الثانية ، كل من فينتس وبركتيونـــي الأولي . فمن الممكن أن يكون الزوج خائناً ، ولكن لا يمكن أن تكـــون هناك زوجة خائنة . لذا يجب على الزوجة عند هؤلاء الفيثاغوريات احـــترام وطاعـــة الـــزوج ، وتحمل العيوب التي من الممكن أن تكون فيه . باختصار يجب أن تضحى الزوجة ليسود وينتشر التناغم في كل الأرجاء .[٨٥]

تحاول الفيثاغوريات أن يرسمن لبنات جنسهن النهج الذي يجب أن يسلكنه في حياتهن الزوجية لإقامة أسرة سعيدة مستقرة . فيذهبن إلي ضرورة أن تحيا الزوجة مع زوجها وفقاً لمقتضيات القانون والشرف ، فتحترم زوجها ، ولا تختص نفسها بشئ دونه ، تصون قدسية الحياة الزوجية ، وفى كل هذا يكمن كل شئ . تقول بركتيوني الأولي " ينبغي على الزوجة أن تتحمل كل ما يصدر من زوجها ، فتتحمل صفاته السيئة الموجودة فيه بالفطرة ، وأن تكون صبورة ، كاتمة للسر ، تتغاضى عن معايبه بطريقة لا تسئ إليه . وعندما تحب الزوجة زوجها بهذا الشكل ، وتسلك وفقاً لذلك سوف يسود التناغم . أما إذا كانت غير محبة له ، فلن تأمل أن تجد الاستقرار في البيت ، ولا على وجوه أطفالها ، ولا في أي ركن من أركان البيت ، وكأنها أصبحت عدوة تسعى إلي هلاك الجميع .[٨٦] يجب أن تضحى الزوجة وتقبل الدائرة الضيقة التي رسم المجتمع لها أن تتحرك فيها بلا تذمر حتى تنشر التناغم في أسرتها . لذا كان من الإثم لدي الفيثاغوريات أن تتطلع الزوجة إلي أن يكون لها بعض السلطان على تصرفات زوجها .تقول بركتيوني الأولي " إن سعيك للحصول على ما هو أكثر مما يخول القانون لكي أن تتطلعي إليه ما هو إلا سعي إلي دمار التناغم الذي من أجل الحفاظ عليه يُسن القانون ."[٨٧]

أما الخيانة الزوجية فإن الفيثاغوريات وإن كن لا يجدن غضاضة أن يقترفها الزوج ، يحرمنها تحريماً قاطعاً على الزوجات . ففي كثير من أقوال الفيثاغوريات يرد التأكيد على أن النشاط الجنسي للزوجة يجب أن يقتصر على زوجها وحده ، ولا يجب أن تتخذ عشاقاً غيره . فها هي ثيانو الكروتونية تجيب على سؤال عن عدد الأيام اللازمة لطهارة المرأة بعد الممارسة الجنسية بقولها " لو كان الاتصال مع زوج المرأة الفعلي ، فإنها تظل طاهرة على الدوام ، أما لو كان مع شخص آخر غيره ، فلن تصبح الزوجة في هذه الحالة طاهرة إلي الأبد."[٨٨] ويذكر بلوتارخ أن ثيانو عندما سُئلت عن واجب المرأة في الحياة أجابت بلا تردد "إمتاع زوجها". وفي مرة أخري كانت إجابتها ـ كما روي ديون Dion ـ "واجب المرأة الحب لزوجها ".[٨٩] إن أسمى فضيلة ترتديها الزوجة في حياتها الزوجية هي فضيلة العفة

والشرف .أما مع زوجها فلا تحجب عنه أي شئ .وقد حثت ثيانو الزوجات اللاتي في سنهن إلي بيت الزوجية بأن يخلعن حياءهن مع ملابسهن .[٩٠] هذا طبعا مع أزواجهن أما مع الغرباء فلا شئ مباحاً . فقد حدث أن تعرى مرة كوع ثيانو زوجة فيثاغورس صدفة ، فقال لها رجل كان يطيل النظر إليها "يا له من كوع جميل" فكان ردها لاذعاً عليه ، وموجها لبنات جنسها :"ولكنه ليس مشاعاً."[٩١] في حين توصي "فنتيس" في كتابها "في اعتدال النساء" بضرورة ألا تفسد المرأة فراش الزوجية ، فلا تتصل جنسياً برجل غريب عن زوجها ، والمرأة التي تخون تخطئ في حق آلهة جنسها ، وتجلب على بيتها وأسرتها فعلاً خسيساً، علاوة على أنها ترتكب إثما في حق وطنها !![٩٢] ولن تجد المرأة الخائنة علاجاً يطهرها من الخطيئة على الإطلاق. إنها كذلك لن تكون محبوبة من الآلهة أبدا. وأعظم وأسمى شرف لأي امرأة متزوجة – في رأي فنتيس – هو نجاحها في انتزاع الشهادة بفضيلتها فيما يخص زوجها من أفواه الجميع ، وذلك بأن يحمل أطفالها على جبينهم صورة والدهم .[٩٣]

كانت الحشمة وأداء الواجب من جانب كل زوجة نحو زوجها ، وتجنب الخيانة الزوجية ، وتقبل الزوج أيا كان وضعه هي الوصية الذهبية لتحقيق التناغم في الحياة الزوجية، وحفظ توازن المجتمع لدى الفيثاغوريات . إن الواجب على المرأة من أجل ذلك إذا وجدت الزوج يخونها مع عشيقة له أن ترد على الخيانة بمثلها ، وإنما التسامح مع زوجها ، فتظهر له مثالاً للوفاء ، وذلك بالتصرف معه بطريقة نبيلة فاضلة ، فيعرف الخطأ الذي اقترفه فيعود إلي جادة الصواب .[٩٤] وهذا ما أكدت عليه أيضا ثيانو الثانية، فالعشرة الزوجية المتناغمة تدوم في صبر الزوجة على حماقة زوجها ، لأنها هي الباقية ، أما العشيقة فلها فترة سوف تنتهي من حياة الزوج ، وليس في تشديد الرقابة علي كل سكناته . ليس من المجدي مقابلة الشرور بمثلها ، تقول "هناك يا صديقتي خطايا تزداد تضخماً واستفحالاً عند نشرها وإدانتها ، في حين تزول وتختفي لو تم تمريرها في صمت .. فكما أن من الضروري للإنسان أن يبعد يديه عن عينيه عند إصابتهما بالرمد ، كذلك ينبغي عليك أن تبعدي كبرياءك عن معاناتك. فبالصبر والتحمل سوف تقهرين هذه المعاناة

سريعاً."[٩٥] ولكن لماذا لا ترد الزوجة على خيانة زوجها؟؟ وتكمن الإجابة في الرأي الذي قالته الفيثاغوريات من قبل بأن هناك بعض الفضائل تخص النساء وحدهن في حين توجد فضائل أخري تخص الرجال . والمرأة أكثر ميلاً للاعتدال عن الرجل بالطبيعة ، وبالتالي تصدر الفضائل المرتبطة بالاعتدال (التسامح والعفو) منها بشكل أيسر من صدورها من الرجل ، وهذا ما يحتم على المرأة أن تسلك بشكل حكيم مع زوجها حتى عندما يتصرف هو تصرفاً ظالماً معها.[٩٦] الزواج عند ثيانو الثانية علاقة مرتكزة على الحب ، وهو حب نابع من تقدير كامل للزوج ، وللمزايا العائدة من الدخول معه في عشرة. الرباط الزوجي رباط أخلاقي في المقام الأول ، رباط لا يخول لطرف عندما يحدث انتهاك لهذه الواجبات الأخلاقية من الطرف الآخر ، أن ينتهك بدوره هو واجبات الزواج الأخلاقية . لأن مقابلة الشرور بمثلها لن يحفظ ما في العلاقة الزوجية من تناغم ، وإنما تثمر الاضطراب داخل الأسرة [٩٧].

ومثلما رأينا في تطبيق مبدأ "الهارمونيا" على شئون البيت، تنتهج الفيثاغوريات هنا أيضا نزعة عملية براجماتية، وليس نزعة ثورية إصلاحية. كما أن فيها ظلماً للمرأة ، فبينما من المباح للزوج أن يخون ، ليس من المباح للزوجة ذلك ، مع أن العدل يقتضي تحريم الخيانة على الاثنين ، أو إباحتها للاثنين. كما أن القواعد التي يفرضها المجتمع بشكل فعلي على المرأة هي التي يجب أن تلتزم بها الزوجة في حيلتها ، مهما كانت هذه القواعد ضد حقوق المرأة.

إن الوصف التفصيلي السابق لصور التعسف التي يجب أن تتحملها المرأة بصبر من زوجها يثير الاشمئزاز لدينا ، ولكن عند التأمل نجد أنه – كما تقول ف هاربر– يثير الأسى والحزن لحال المرأة قديما .[٩٨] إنه تعبير قوي عن الحقيقة المرة بأن المجتمع القائم الفعلي – الذي كانت الفيثاغوريات يعشن فيه – يضيق الخناق على الطرق التي يمكن للنساء من أفراده أن يحققن التناغم من خلالها . فلا بركتيوني ولا غيرها من الفيثاغوريات تطرح في حديثها ما ينبغي أن يكون عليه الوضع في مجتمع مثالي تتخيل قدومه مختلفاً عن الذي تعيش فيه، بل كانت تتحدث عما هو

قائم ، وتعرض للطريقة التي يمكن أن تكون المرأة متناغمة بها مع المجتمع القائم حولها بلا أو خروج عليه .

د-الهارمونيا وتربية الأطفال :-

لئن كان الرجال الفيثاغوريون قد اتجهوا بجهودهم نحو تفسير العالم الكبير Macrocosm تفسيراً رياضياً بجعل نسيجه العدد والتناغم ، فإن الفيثاغوريات اقتصرت جهودهن على العالم الصغير Microcosm أعني بالفلسفة بمعناها الواسع الذي يشمل الأسرة والدولة معا . فقد ناقشن كيف يمكن للمرأة أن تطبق مبدأ الهارمونيا على تنشئة الأطفال ليصبحوا فى مرحلة النضج فضلاءً وأفراداً متناغمين. وما فعلته هؤلاء الفيثاغوريات هو دراسة وتطبيق النظرية الأخلاقية عند الفيثاغوريين الرجال مع إكمالها بجوانب من علم نفس النمو ، فضلاً عن نظرية الالتزام الأسري .[٩٩]

وقد سبق أن رأينا أن الفيثاغوريات أكدن على أن مكان المرأة هو بيتها ، وأن واجبها هو نشر التناغم داخل البيت ، والمحافظة على علاقتها الزوجية هادئة سعيدة ، وأن تعد جيلاً سعيداً متناغماً من الأبناء ينفع المجتمع في المستقبل ، وتلك هي رسالتها السامية في هذه الحياة . فكيف يمكن للنساء أن تربي هذا الجيل ؟؟ وكيف ينجحن في تربية الأطفال تربية متناغمة ؟

أكدت الفيثاغوريات في البداية أنه يتحتم قبل إنجاب الأطفال أن يكون الوالدان ناضجين ، ويعيشون حياة سليمة ، إذ ينبغي على الوالدين المستقبلين أن يبذلوا كل تبصر ممكن من أجل سعادة الطفل الذي سوف يولد.[١٠٠] وقد اهتمت اثنتان من الفيثاغوريات اهتماماً خاصاً بعملية كيفية تربية الأطفال تربية متناغمة ، وهما "ميبا" ابنة فيثاغورس في خطابها إلي "فيليس" Phyllis ، وثيانو الثانية في خطابها إلي "ايبولي" ، واتفقت هاتان الفيثاغوريتان ومعهما إيزارا اللوكانية على ضرورة الاعتدال في تربية الأطفال وتقييد ما لديهم من طيش وهوى . إذ يجب إشباع حاجات الطفل وفقاً لمبدأ التناغم . ولما كان الصغار عاجزين عن فهم الطريقة التي يمكن بها تطبيق مبدأ "الحصة الملائمة"، فإنه لهذا السبب يجب توجيههم وإرشادهم فى أمور حياتهم ، فيصبحوا أفراداً متناغمين فاضلين . وهي مسئولية الأم،

طالما أنها هي الأقدر على بث العدالة والنظام في بيتها وبين أطفالها.[١٠١] إننا لكي نربي طفلاً متناغماً يجب علينا – في رأي ميبا – ألا نفرط ، وفي ذات الوقت لا نقيد إشباع حاجات الطفل . ففي رأيها يرغب الطفل فيما يتناسب مع حاجاته ، والذي يحتاجه الطفل هو الاعتدال في كل شئ، فهو أمر مفيد له غاية الإفادة. فيجب أن تكون الأم إنسانة معتدلة ، حسنة المزاج والعمل ، وعند إرضاع الطفل وإلباسه الثياب ، واستحمامه يكون الاعتدال هو كلمة السر في كل هذا .[١٠٢]وعند استئجار مرضعة للطفل ، يجب أن تكون هذه المرضع ليست عصبية المزاج، ولا ثرثارة الكلام ، معتدلة فى كل شئ : معتدلة في النوم ، والأكل ، والشراب ، بل وينبغي أن تكون معتدلة حتى في ممارسة الجنس مع زوجها. " يجب أن تؤدي كل الأشياء على خير وجه ، وفي الوقت المناسب ، "عليها أن تتفرغ لحسن تنشئة الطفل، وإشباع رغباته باعتدال، فلا تأوي إلي الفراش في حين يكون الطفل في حاجة إليها، ولا تنام إلا عندما يدخل الطفل في النوم ، كما لا تضع الطفل فى فراش النوم إلا عندما يكون بحاجة إلي النوم ، وقد أخذ كفايته من الرضاعة . كما يجب أن يكون الهواء الذي يتعرض له الطفل متوازناً بين الحرارة والبرودة ، ولا ينبغي أن تكون نوافذ البيت موسدة دائماً.[١٠٣]وهي بهذا تنشئ الطفل تنشئة سليمة ، ومن المحتم أن تنشئة الطفل تنشئة سليمة هي أولي الأولويات في حفظ التناغم داخل المجتمع ، فهؤلاء الأطفال هم رجال الغد .[١٠٤]

أما "ثيانو الثانية" فلا تخرج كثيراً عن التصور السابق في ضرورة الالتزام بالاعتدال في تنشئة الطفل ، وإذا ما قصرت الأم في ذلك ، فإنها تسهم بذلك في تدمير المجتمع أجمع . فهي تحث الأم "إيبولى" في رسالة لها أن تتوقف عن تربية طفلها فى تدليل وإسراف. وتؤكد لها على أنه لكي يصبح هذا الطفل فرداً ناضجاً فاضلاً ، يجب أن تكون تربيته تربية معتدلة في كافة الجوانب .[١٠٥]والسبب الذي يحتم على الأم أن تفعل ذلك : أن الأطفال الصغار يعجزون عن فهم كيفية تطبيق مبدأ التناغم (الهارمونيا) على أنفسهم ، فيجب توجيههم وقيادتهم ، وتقول " إن أبرز علامة على أم حكيمة هو اهتمامها بتنشئة أبناءها وفقاً لمبدأ الاعتدال . فاحذري أشد الحذر من أن تضعي أماً رعناء ... إن ما يجعل الأبناء أطفالاً ضائعين أن تجتمع

اللذة جنبا إلي جنب مع عبث الأطفال ، فيجب على الواحدة أن تأخذ حذرها ، حتى لا تتحول تربيتها لأبنائها إلي إفساد لهم ."[١٠٦] ومن هنا نخلص إلي أن الفيثاغوريات قد أكدن علي ضرورة أن يُعلم الطفل منذ الميلاد ألا يرغب سوي الرغبات الضرورية فحسب ، ويحتقر الرغبات العابثة . حيث يخبرنا الطب أن لكل طعام جزئي أثر جزئي خاص به ، ونُدرك من نظرة واحدة أن الخمر عند أخذ قدر معقول منه يجلب البهجة والانشراح ، أما الإسراف فيه فيسبب الجنون والسلوك المنحرف . وللرغبة العبثية سمات ثلاث نعرفها من خلالها : فهي تنقصها "الماهية" أي أنها تكون مبتذلة، وينقصها التناسب ، أي إما أن تكون شديدة القوة ، أو تستمر لوقت بالغ الطول ، وأخيراً أنها تكون غير مناسبة ، أي تأتي في الوقت الخطأ ، أو تتجه إلي الموضوعات الخطأ . لكل ذلك يجب إبعاد الأطفال عنها.[١٠٧]

على الأم أن تلتزم في تنشئة أطفالها ــ كما تنادي ثياتو الثانية أيضاً ــ بالاعتدال ، لأن الإسراف يدمر الطبيعة بلا شك ، فتراعي الاعتدال في تقديم الطعام لهم ، ولا تسعى إلي إشباع كل رغبة عارضة لديهم . حتى لا يصبحوا عند الكبر عبيداً للشهوة ، وتختتم نصيحتها بقولها " احرصي يا صديقتي على منع أطفالك من أن يصبحوا ثمرة خبيثة للفسوق ، والتلفظ باللغو الفارغ الناشئ من الإسراف في اللذة ، طالما أن كرم العنب الذي تميل أفنانه ميلاً شديداً تصبح ثماره ضعيفة."[١٠٨]

ننتهي بذلك من التصورات التي طرحتها الفيثاغوريات حول الطريقة التي يتم بها تطبيق مبدأ "الهارمونيا" الفيثاغوري على بناء وتسيير الأسرة ، باعتبار أن الأسرة عالم مصغر . والطريقة التي يمكن أن تطبق بها النساء هذا المبدأ على الجوانب الأخرى من حياتهن اليومية . ويمكننا من خلال ما سبق أن نصل إلي تقييم جديد للدور الذي لعبه هذا المبدأ الفيثاغوري في تاريخ الفلسفة ، ولا شك أن مناقشاتهن لتطبيقات هذا المبدأ على أخص الأمور المتعلقة بوضع النساء في العالم القديم تجعلنا ــ على حد قول مارى ويث ــ نعيد النظر من جديد إلي نظرتنا التقليدية لتاريخ الفلسفة الغربية المبكر ، فلا نجعله تاريخاً للفلاسفة الرجال وحدهم ، بل وللفلاسفة النساء على السواء ، ونفطن في ذات الوقت إلي السبب الذي حتم أن تعمل النساء

آنـذاك على نقل الفلسفة الخلقية إلي ميادين جديدة تأخذ بعين الاعتبار القيود التـي كانـت تفرضـها المجتمعات قديما على الطرق التي يمكن للنساء أن يحققن من خلالها مبدأ التناغم المعياري تحقيقاً واقعياً.[١٠٩]

الخاتمة

يمكننا في خاتمة البحث أن نجمل النتائج التي توصلنا إليها فيما يلي:-

١- قامت الفيثاغوريات بعمل تكميلي بذلك التصورات التي رأيناها آنفاً حول تطبـيقات مـبدأ "الهارمونـيا" على مهام وواجبات المرأة . فبينما اهتم الفيثاغوريون الرجال بالجوانب النظرية لهذا المبدأ ، قامت الفيثاغوريات باكمال عملهم وذلك بإجراء جانب تطبيقي لهذا المبدأ .

٢- قدمـت الفيـثاغوريات في تطبيقات مبدأ "الهارمونيا" على شئون المرأة نظـرية أخلاقية تطبيقية تتكامل مع سيكولوجيا التطور الأخلاقي ، تدمن نظرية في الواجب النسائي في العصر القديم .

٣- تـم علـى يـد الفيثاغوريات الربط بين الرياضيات والأخلاق من خلال الفكـرة العامـة للـنظام ، والتي يُعبر عنها بمفهوم التناغم ، لقد بحثن وطبقـن هذا المفهوم على كل مجال من أعمال البشر ، فكان عندهن مبدأ طبيعياً وأخلاقياً.

٤- تمدنـا التطبيقات الفيثاغورية السابقة لمبدأ التناغم بشهادة صادقة على طبـيعة العصـر الذي كانت الفيثاغوريات تعشن فيه ، وعلى مدى الكبت والقمع والتبعية التي عانت منها المرأة .

٥- لـم تكـن الفيـثاغوريات في نصائحهن لبنات جنسهن حول كيفية أداء دورهـن الاجتماعي في تناغم واعتدال يتحدثن عن عالم مثالي ينبغي أن يسـود ، بـل كن يتحدثن عما هو قائم أمامهن ، عن تسليم ورضا منهن بهـذا الوضع المزري ، باعتباره الوضع الوحيد الملائم للطبيعة المرأة ، فكانـت الفيـثاغوريات فـي ذلك فلاسفة محافظات ، وليست مجددات أو ثوريات .

٦- هـناك فـرق كبير بين طرق التفلسف التي مارسها الرجال ، وتلك التي مارسـتها النسـاء فـي المدرسـة الفيثاغورية ، حيث انشغلت النساء بتطبـيقات مبدأ التناغم على جوانب الحياة اليومية ،انشغل الفيثاغوريون

الرجال ببناء نظريات مثالية علمية من أجل المدن المثالية ، فبينما نهجت الفيثاغوريات نهجاً واقعياً عملياً ، انتهج الفيثاغوريون الرجال نهجاً مثالياً نظرياً.

٧- أمنت الفيثاغوريات بتكامل الرجال مع النساء في الوظيفة والدور؛ حيث تتحمل المرأة مسئولية تحقيق التناغم في البيت ، يأتي دور الرجال في تحقيق التناغم في المدينة ككل ، ومعلوم أن قيام المدن المتناغمة يستلزم أن تكون الأسر الداخلة فيها عادلة ومتناغمة .

٨- لم تناد الفيثاغوريات بمساواة النساء بالرجال في كل الأمور ، بل هناك فروق جوهرية بين الطبيعتين ، لكن هذا لم يكن يعني عندهن أن المرأة أدنى قيمة من الرجل ، المسألة أن هناك اختلاف في الدور المطلوب من كل جنس منهما ، الأمر الذي حتم اختلاف الطبائع .

٩- يحسب للفيثاغوريات أنهن كن سابقات على أفلاطون في القول بالتقسيم الثلاثي للنفس ، وان السعادة تتمثل في توازن هذه الأجزاء ، وسيطرة العقل على الجزأين الآخرين . كما يحسب لهن أيضاً سبق أرسطو في القول بالتوسط والاعتدال في كل شئ كفضيلة أخلاقية ، بلا إفراط أو تفريط .

هوامش البحث:

1- A. S. Bogomolov:- History of Ancient Philosophy, trans by : V. Stankevich, Progress Publishers , Moscow, 1985 , p. 68 .

٢- د. أحمد فؤاد الأهواني : فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط ، ط١ ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٤ ، ص ٧٤ .

٣- برتراند راسل : تاريخ الفلسفة الغربية ، ترجمة د. زكي نجيب محمود ، مراجعة د. أحمد أمين ،الكتاب الأول (الفلسفة القديمة) لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٦٧ .

٤- ول ديورانت: قصة الحضارة ، الجزء الأول من المجلد الثاني ، ترجمة محمد بدران ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص٢٩٥ .

5- Pre-Socratic Women ,http//www.class.widaho.edu/ngier/Ancient Talk/ - disc.htm

6- R. Finnegan :- The Professional careers : Women pioneers and the Male image seduction ,http://www.ucd.:/ie /classics/95 /Finnegan 95.html

7- K. Freeman : The Pre-Socratic Philosophers, 2nd Ed , Basil Blackwell, Oxford, 1959, p. 83.

8- Diogenes Laertius :- Lives of the Eminent Philosophers, trans by: D. Hicks, Harvard University press, Cambridge, 1925 , V111 41 , p.357.

9- J. H. Liehard , N. 213, The Pythagoreans, Http://ww.uh/ engines/epi 213:htm

١٠- ول ديورانت : المرجع السابق ، ص ٢٩٤ .

11- G. Grote :- History of Greece, vol 1V, The Bradley Company publishing, New York, 1850, p. 401.

١٢- ماري ايلين ويث :- تاريخ النساء الفلاسفة ، الجزء الأول ، ترجمة د. محمود مراد ، مراجعة د. محمد فتحي ، دار الوفاء ، الإسكندرية ، ٢٠٠٠ ، ص ٤٩ .

١٣- كانت ثيانو من أسرة أرستقراطية أروفية ، كانت تلميذة لفيثاغورس ثم زوجا له ورئيسة للمدرسة بعد موته ، بقيت لنا من كتابها " في التقوى" بعض الشذرات ، واعتبرها فورفوريوس أعظم امرأة شهرة بين الفيثاغوريات ، كما وصلتنا لها عدة رسائل لها تحت عنوان " رسائل من ثيانو ابنة الحكمة الفيثاغورية "ووصفها لوسيان بأنها كانت عظيمة النفس . أنظر : G. Ménage : The History of Women Philosophers, Trans by: B. H. Zedler, University press of America, Lanham, New York,1984,p.p.48- 51.

١٤- دامو هي ابنة فيثاغورس وتلميذته ، وروى فورفوريوس أنها رفضت بيع أوراق والدها بثمن باهظ عقب موته حفاظا على سرية تعاليم المدرسة وعاشت بقية حياتها في فقر شديد . راجع :- Diogenes Laertius : op cit, V111,42 ,p.359.

١٥- ميا إحدى بنات فيثاغورس الثلاث بقيت لنا لها عدة رسائل ، وكانت زوجة ميلو والذي أحرق فيثاغورس وأتباعه في بيته ، تولت في شبابها قيادة جوقة الفتيات المنشدات العذراوات ، وقد حول أهل كروتون منزلها إلي معبد للآلهة "سيريس" Ceres آلهة الزراعة . راجع : Introduction to Pythagorean writings, Acta Acad- H. Thesleff emia Aboensis, Humaniora xx1v, 3, 1961,p. 16.

١٦- أريجنوت ابنة فيثاغورس وثيانو ، كتبت الكثير من الأعمال الفلسفية مثل "أسرار باخوس" راجع : H. Thesleff:- op cit, p.11.

١٧- كانت ثيمستوكليا عرافة أبوللو ن في معبد دلفي ، ومنها أخذ فيثاغورس حكمه الأخلاقية ، ويقال أن أعجاب فيثاغورس بها هو الذي دفعه إلي جعل مدرسته تقبل النساء والرجال معا ، واعتبرها ديوجين لآيرتوس "أول امرأة في التاريخ تحظى بلقب فيلسوفة ." Diogenes Laertius:- op cit, Vol 11, V111,7, p.327.

١٨- إيزارا فيلسوفة فيثاغورية ظهرت حوالي ٤٠٠-٣٠٠ق.م لها كتاب بعنوان " في الطبيعة البشرية" ، وقد تغنى بأمجادها الشعراء مثل الشاعر "هوراس" (٨ق.م) Horace :

E. M. Kersey:- Women Philosophers, Greenwood press, New York, 1989, p.27.

١٩- كانت فينتس الإسبرطية معاصرة لأفلاطون ، بقيت لنا من كتابها "في اعتدال النساء" شذرتان طويلتان . راجع : - E. M. Kersey : op cit, p. 174.

٢٠- بركتسيوني الأولي عاشت في القرن الرابع ق.م ولها كتاب بعنوان "في تناغم النساء" وهناك من يرجح أنها أم أفلاطون . راجع - E. M. Kersey : op cit, p. 172.

٢١- بركتسيوني الثانية عاشت في القرون الأولي الميلادية ، ولها عمل بعنوان "في الحكمة" بقيت لنا منه شذرات متفرقة. راجع : -E. M. Kersey:- op cit , p. 173.

٢٢- هي فيلسوفة فيثاغورية محدثة ، وهي غير ثيانو زوج فيثاغورس ، وصلتنا الكثير من رسائلها.راجع :- -E. M. Kersey:- op cit, p.200.

٢٣- د. إمام عبد الفتاح إمام :- نساء فلاسفة في العالم القديم ، سلسلة الفيلسوف والمرأة، ٤، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٦، ص ٢٤ .

٢٤- نفس المرجع ، ص ٢٥ .

25- Greek Women Philosophers, http:// w3. Arizona .edu/~ws 200/ fall 97/grp3/part 4.htm

26- Ancient Women Philosophers ,http:// faculty. Msmc.edu/ Lindeman / myia web. Htm/

27- Greek Women Philosophers, http:// w3. Arizona .edu/~ws200/ fall 97/grp3/part 4.htm

٢٨- ماري إيلين ويث :- المرجع السابق ، ص ٢٨ .

٢٩- د. عبد الرحمن بدوي :- ربيع الفكر اليوناني ، وكالة المطبوعات ، الكويت، ١٩٧٩ ، ص ١٠٨ .

٣٠- ولتر ستيس : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٤، ص ٣٩ ، ص٤٠ .

31- K. Freeman :- op cit , p. 81.

32- Aristotle : De Caelo, trans by : J. L. Stock, The works of Aristotle ,Vol 11, Oxford, at the Clarendon press, London, 1947, 11, 9,290b15.

33- Pythagoras and Pythagoreanism , http://essenes crosswinds . net/ pytha . html

٣٤- د. محمد فتحي : المدرسة الفيثاغورية ، مصادرها ونظرياتها ، دار الدلتا للطباعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٩ ، ص٥٩ .

٣٥- أفلاطون : فيدون ، ترجمة د. عزت قرني ، مكتبة الحرية الحديثة ، القاهرة ،١٩٧٦ ، ٨٥ ـ ٨٦ ، ص ٢١٤ .

36- J. Burnet :- Early Greek Philosophy, 4th ed , Adam &Charles Black, London, 1975, p.296 .

37- A. S. Bogomolov :- op cit, p. 73 .

38- Early and late Pythagoreans, http:// www. Macalester. edu/~ warren /courses/ LN5 pythagoreans.htm

39- Pythagoras, The final theorem, http://www.pythagoras-novel.com/extracts/extract05.html

٤٠- هنري توماس : أعلام الفلاسفة كيف نفهمهم ، ترجمة : متري أمين، مراجعة د. زكي نجيب محمود ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٧٨ .

41- H. Thesleff : op cit , p. 22.

٤٢- مارى ايلين ويث : المرجع السابق ، ج١ ،ص ٥٠ .

43- E. M. Kersey : op cit , p. 43 .

٤٤- مارى ايلين ويث :- المرجع السابق ، ج١ ، ص ٥٠ ، ص ٥١ .

45- E. M. Kersey :- op cit ,p. 2.

46- Ancient women philosophers ,http:// faculty. Msmc.edu/ Lindeman / Theano1 web. Html

٤٧- مارى ايلين ويث :- المرجع السابق ، ج١ ، ص ٥٢ .

٤٨- د.أميرة حلمي مطر:- الفلسفة عند اليونان ، دار الثقافة ، القاهرة ،١٩٨٦ ،ص٦٨.

49- E. M. Kersey :- op cit , p. 174.

٥٠- مارى ايلين ويث : تاريخ النساء الفلاسفة ، الجزء الأول ، ص ٨٣ .

٥١- نفس المرجع ، ج١ ، ص ٨٤ .

52- Early and late Pythagoreans, http:// www. Macalester. edu/~ warren /courses/ LN5 pythagoreans.htm

53- E. M. Kersey : Women Philosophers, p. 173.

٥٤- مارى ايلين ويث :- المرجع السابق ، ج١ ، ص ١٧٤ .

55- Philosophy and the school of Pythagoras, http://www. Astronomy.panoma . edu/ archeo/Greece/ pythagoras/ school.htm

56- E. M. Kersey :- op cit , p. 2 .

٥٧- مارى ايلين ويث :- المرجع السابق ، ج١ ، ص ٥٤ .

٥٨- نفس المرجع ، ج١ : ص ٧٥ .

59- E. M. Kersey :- op cit , p. 174.

60- Early and late Pythagoreans, http:// www. Macalester. edu/~ warren /courses/ LN5 pythagoreans.htm

٦١- مارى ايلين ويث : المرجع السابق ، ج١ ، ص ٧٦ .

٦٢- نفس المرجع ، ج١ : ص ٨٢ .

63- H. Thesleff:- Introduction to Pythagorean writings, p. 17 .

٦٤- مارى ايلين ويث : المرجع السابق ، ج١ ، ص ٨٦ .

٦٥- نفس المرجع ، ج١ ، ص ٩٤ .

٦٦- نفس المرجع ، ج١ : ص ٩١ .

67- E. M. Kersey :- op cit , p. 173 .

68- Early and late Pythagoreans, http:// www. Macalester. edu/~ warren /courses/ LN5 pythagoreans.htm

69- Greek women philosophers, http:// w3. Arizona .edu/~ws200/ fall 97/grp3/part 4.htm =

70- G. Ménage :- op cit , p. 51.

٧١- مارى ايلين ويث – المرجع السابق ، ج١ ، ص ٩٢ .

٧٢- نفس المرجع ، ج١ ، ص ١١١.

٧٣- المرجع السابق ، ج١ ، ص ١١٢، ص ١١٣.

٧٤- نفس المرجع ، ج١، ص ١١٩ .

٧٥- نفس المرجع ، ج١ ، ص ٩٤ .

76- E. Zeller :- A History of Greek Philosophy , vol 1, trans by: S. F. Allyer, Longmans Green and co., London, 1881, p. 491.

77- Women Philosophers of Ancient times,http://www.geocities.com/ Athens/forum/9974/old.html

78- Early and late Pythagoreans, http:// www. Macalester. edu/~ warren /courses/ LN5 pythagoreans.htm

٧٩- مارى ايلين ويث : تاريخ النساء الفلاسفة ، الجزء الأول ، ص ٦٦ .

80- Philosophy and the school of Pythagoras, http://www. Astronomy.panoma . edu/ archeo/Greece/ Pythagoras/ school.htm

٨١- مارى ايلين ويث :- المرجع السابق ، ج١ ، ص ٦٥ .

٨٢- نفس المرجع ، ج١ ، ص ٦٦ ،ص ٦٧ .

83- Early and late Pythagoreans , http:// www. Macalester. edu/~ warren /courses/ LN5 pythagoreans.htm

٨٤- مارى ايلين ويث :- المرجع السابق ، ج١ ، ص ٤١ .

85- E. M. Kersey :- op cit , p. 173 . ,,

٨٦- مارى ايلين ويث :- المرجع السابق ، ج١ ، ص ٨٧ .

٨٧- نفس المرجع :- ج١ ، ص ٩٢ .

88- Diogenes Laertius :- op cit , V11, 43, P. 359 .

89- G. Ménage:- The History of women philosophers, p. 50 .

90- Diogenes Laertius :- op cit, vol 1, V111, 43, p. 361.

91- G. Ménage:- op cit, p. 50.

٩٢- مارى ايلين ويث :- المرجع السابق ، ج١ ، ص ٧٦ .

٩٣- نفس المرجع ، ج١ ، ص ٨٠ .

94- E. M. Kersey :- op cit, p. 201 .

95- H. Thesleff:- Introduction to Pythagorean writings, p. 22.

96- Ancient women philosophers, Theano 11, http:// faculty. Msmc.edu/ Lindeman / Theano11 web. Html

٩٧- ماري ايلين ويث :- المرجع السابق ، ج١ ، ص ١١٠ .

٩٨- نفس المرجع ، ج١ ، ص ٩٤ .

٩٩- د. إمام عبد الفتاح إمام :- نساء فلاسفة ، ص ٢٦ .

100- K. Freeman :- op cit ,p. 258.

١٠١- ماري ايلين ويث :- المرجع السابق ،ج١ ، ص ١٠٤ .

102- E. M. Kersey:- Women Philosophers,p.162.

103- Ancient women philosophers, Myia http:// faculty. Msmc.edu/ Lindeman / Myia. web. Html,

104- Greek women philosophers, http:// w3. Arizona .edu/~ws200/

fall 97/grp3/part 4.htm

105- E. M. Kersey :- op cit, p. 200.

١٠٦- ماري ايلين ويث :- المرجع السابق ، ج١ ، ص ١٠٢ .

107- K. Freeman :- op cit. p. 258.

١٠٨- ماري ايلين ويث :- المرجع السابق ، ج١ ، ص ١٠٣ .

١٠٩- نفس المرجع :- ج١ ، ص ١٢٧ .

المراجع:-

أولاً المراجع الأجنبية:

1- Aristotle :- De Caelo, trans by: J. L. Stock, The works of Aristotle, vol 11, Oxford, At the Clarendon press, London, 1947.

2- Bogomolov (A. S):- History of Ancient Philosophy, trans by: V. Stankevich, Progress publishers, Moscow, 1985.

3- Burnet (J) :- Early Greek Philosophy, 4th ed, Adam& Charles black, London, 1975.

4- Freeman (K) :- The Pre-Socratic Philosophers,2nd ed, Basil Black Well, Oxford,1959.

5- Grote (G):- History of Greece, vol IV, The Bradley company publishing, New York , 1850 .

6- Kersey (E. M.):- Women Philosophers, Greenwood press, New York, 1989.

7- Laertius (Diogenes):- Lives of the Eminent Philosophers, trans by: R. D. Hicks, Harvard university press, Cambridge, 1925.

8- Ménage (G):- The History of Women Philosophers, trans by :- B. H. Zedler, university press of America Lanham, New York, 1984 .

9- Thesleff (H) :- Introduction to Pythagorean writings of the Hellenistic period, Acta Academiae Aboensis, Humaniora xx1v,3, Abo Akademi, 1961.

10- Zeller (E):- A History of Greek Philosophy, trans by: S. F. Allyer, vol 1, Longmans Green and co., London, 1881.

ثانياً:- المراجع العربية:

١- د. أحمد فؤاد الأهواني :- فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط ، ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ، ١٩٥٤ .

٢- أفلاطون :- فيدون ، ترجمة د. عزت قرني ، مكتبة الحرية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٧٦ .

٣- د.امام عبد الفتاح امام :- نساء فلاسفة في العصر القديم ، سلسلة الفيلسوف والمرأة ، ٤، مكتبة مد بولي ، القاهرة ، ١٩٩٦.

٤- د. أميرة حلمي مطر :- الفلسفة عند اليونان ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٦ .

٥– برتراندراسل :– تاريخ الفلسفة الغربية ، الجزء الأول، ترجمة د. زكي نجيب محمود ، مراجعة د. أحمد أمين ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ١٩٥٧ .

٦– د. عبد الرحمن بدوي :– ربيع الفكر اليوناني ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٧٩ .

٧– ماري ايلين ويث :– تاريخ الفلاسفة النساء (الجزء الأول) ، ترجمة د/ محمود مراد ، مراجعة د/ محمد فتحي عبد الله ، دار الوفاء لدنيا الطباعة ، الإسكندرية ، ٢٠٠٠.

٨– د. محمد فتحي عبد الله :– المدرسة الفيثاغورية (مصادرها ونظرياتها) الدلتا للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ١٩٨٩ .

٩– ولتر ستيس : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ترجمة/ مجاهد عبد المنعم مجاهد ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

١٠– هنري توماس:– أعلام الفلاسفة كيف نفهمهم، ترجمة/ متري أمين، مراجعة / د. زكي نجيب محمود ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

ثالثاً:– مراجع من شبكة المعلومات

1- Ancient Women philosophers, Arignote, http:// faculty. Msmc.edu/ Lindeman / Arignote. web. Html

2- Ancient Women philosophers, Theano, http:// faculty. Msmc.edu/ Lindeman / Theano. web. Html

3- - Early and late Pythagoreans, http:// www. Macalester. edu/~ warren /courses/ LN5 pythagoreans.htm

4- Finnegan (R) :- The professional career, Women pioneers and the Male Image seduction, http://www.ucd. ie/ classics/95/ Finnegan 95.html

5-Greek Women Philosophers, http:// w3. Arizona .edu/~ws200/

6- Lienhard (J. H): No.213, The Pythagoreans, Http://ww.uh/ engines/epi 213: 0htm

7- Philosophy and the school of Pythagoras , http://www. Astronomy.panoma . edu/ archeo/Greece/ Pythagoras/ school.htm

8- Pre-Socratic Women ,http//www.class.widaho. edu/ngier/Ancient Talk/~ disc. Htm

9- Pythagoras and Pythagoreans, http://essenes crosswinds . net/ pytha . html

10- Pythagoras, The final theorem, http://www.pythagoras-novel.com/extracts/extract05.html

11- Women philosophers of Ancient times, http://www. geocities.com/ Athens/forum/9974/old.html